محنة الأنثى في مجتمع ذكوري
طفولة مدللة وشباب تحت التهديد

د/ فجـــر جـودة علـوان النعيمي

د/ مـــاجد علي مصطفى العنبكي

Abstract:

The ordeal of female in a Patriarchal Society: spoiled childhood and youth under threat

This paper is an attempt to shed light on the feminity in a patriarchal society, overwhelming the realm of female with variety of restrictions, taboos and unlawful. Despite the fact that male and female biologically born with similar codes in terms of gens and chromosomes, among twenty-three pairs of chromosomes, the male and female each contributing one chromosome to every pair. One pair makes the differences, where male has xy while female has xx. This is the end of the story and the beginning of the male superiority over female.

It is by all means, the patronizations of culture, which play fundamental role in taming females in order to keep them as sexual objects and servants. over time female became part of male's property, and then imprisoned in a cell behind walls. The ordeal of female increased and profound in our modern life under new religious, ethical, social or cultural pretext. Females themselves become escort of the cultural traditions that keeps females under siege. For how long, to what extent and which direction no one can predict…!

المشكلـــة:

اذا اردت ان تعرف ثقافة مجتمع، انظر إلى كأس الفخار الذي منحه الاله للشعوب لكي يشرب كل منها من كأسه (*)، واذا اردت ان تفهم طبيعة المجتمع، أي مجتمع انظر إلى طريقة تعامل الابوين مع الذكور والاناث وطريقة تدريب كل منهما على الأدوار المستقبلية.

دارسي الانثروبولوجيا الاجتماعية يعرفون أن مهمة الباحث لا تتعدى احداثيات وضعها فلاسفة ومفكرون وليس ضباط في جيش متوجه للحرب، ولكن الاحداثيات الفكرية تشبه بعض الشيء احداثيات العسكر في ميدان المعركة اذ يتعين تحديد الأهداف والمواقع والوسائل التي تصل بها الى تحقيق هذه الأهداف، وهي الطريقة ذاتها التي يستخدمها الانثروبولوجيون والسوسيولوجيون في دراسة الظواهر المرتبطة بأنظمة المجتمع ووظائفه ومكوناته، ومن أهم هذه النظم، النظام العائلي الذي يبقى مع اعلى درجات تفككه وتراجعه وتحلله، الأساس الذي يزود الثقافة والمجتمع باحجار جديدة تنتظم تدريجيا في البناء الاصلي. الأحجار الجديدة التي تبدو هشة عندما تدخل لأول مرة في البناء تتصلب فيما بعد وتتحجر كلما مر عليها موسم من مواسم الجفاف والمطر التي تتعاقب في تتابع ابدي، وتنتقل اليها المورثات الثقافية بطريقة العدوى الحسية وغير الحسية أيضا، كما في العادات التي وصفها جون ديوي (١٩٦٣: ٤٦) بانها: "حلقات في سلسلة الحضارة الإنسانية الخالدة.... التي ورثناها عن أسلافنا والتي نشعر بالتحسن يطرأ عليها كلما نظرنا بعين المستقبل الى ثمار اعمالنا في ذلك العالم الذي سيعيش فيه أولئك الذين سيخلفونا".

---

* من التراث الشعبي الهنود الحمر الأمريكيين، نقله عنهم فرانس بواز احد رواد الانثروبولوجيا، ونقلته عنه روث بندكت في كتابها :
Patterns of culture, P.18

العادة كناقل امين للثقافة تشبه الى حد كبير عملية المشي التي لا تتم الا بوجود اقدام وأرض تدب عليها هذه الاقدام، هي عملية تفاعل لا نهائية بين الفرد والبيئة المحيطة التي تتولى مهمة تدريب محسوب بالانجات والسنتيمترات والمليمترات لتحويل الحجر النائم الى حجر متحرك له عيون وآذان واسنان وهي التي تقود الافراد الى التمييز بين الإناث والذكورعلى أساس بيولوجي محض، يلعب الجهاز التناسلي فيه دور البطل بلا منازع، فالطفل الذي يولد بفتحة مزودة بانبوب للبول يكتب له ان يأكل على المائدة مع الضيوف، اما الطفل الذي يولد بفتحة من غير أنبوب فمحكوم عليه ان يتوارى خلف الجدران والستائر وياكل من بقايا الطفل المزود بانبوب للبول، ويحبس خلف ملحفة داخل ملحفة داخل أسطوانة حتى الموت. زائدة لحمية من بضعة أنجات تمنح الطفل هوية سحرية وترفعه الى اسمى الدرجات فيما تنحط مكانة الطفل الذي يفتقد هذه الزائدة انحطاطا مبالغا فيه، الطفل بزائدة يصبح سيدا والطفل بغير زائدة يكون عبدا، وسلعة رخيصة وهدفا للشهوات. أصحاب الزوائد والذين من دون زوائد متساوون من الناحية البيولوجية. الثقافة وحدها من أعطى هذه الزائدة رخصة ادارة شؤون الحياة بالنيابة عن الطرف الاخر، الثقافة وحدها وضعت التاج فوق راس هذه الزائدة ووضعت القيود في اقدام الاخر. الثقافة وحدها من صنعت أسطورة التفوق الجنسي وادخلتها في مناهجنا المدرسية ومساجدنا وكنائسنا حتى يضمن الذكور البقاء على القمة فيما تبقى الإناث في القاع. سياسة قامت على انقاض عشتارالتي أُهبطت قسرا الى قبو العالم السفلي بدفع من الكهنة ومزيفي النقود والجنود المنكسرين.

في المجتمع الذكوري يتعين تزويد الأنثى بأجهزة حماية خاصة، أولها عدم الظهور العلني امام الغرباء، وآخرها ان توضع في زنزانة مزودة بمطبخ عتيق تقوم فيه بوظائف سجين مدى الحياة وباشراف سجان من جنسها تجاوز سن اليأس بقليل. وعندما تكبر خلف الأسوار وبين الملاعق والقدور والأواني القديمة تنتقل تحت حراسة مشددة الى سجن جديد مزود بآليات حماية لا تقل سوء عن سابقتها، الفارق الوحيد انها صارت تملك حرية اختيار الوان قمصان نومها فقط وباشراف سجان جديد يملك حق الملكية التي تنتقل له باختراع كهنوتي قديم يعود تاريخه الى مرحلة تدجين الأنثى التي ترافقت مع تدجين الدجاج.

الأنثى المحاطة بالطلاسم والاسرار والمعبئة بالمخاوف والرغبات المحرمة تكون عبر سنوات الجفاف العجاف خلف الحيطان قد فقدت اكثر من ثلاثة أرباع طاقتها الجنسية، لتتحول فيما بعد الى جثة باردة لا تصلح للعلاقة الحميمة مع سجان اكثر منه زوج، وسلطان مع جارية مهمتها الانجاب فقط وليس الامتاع والاستمتاع، ثم يطلب منها ان تكون طباخة ماهرة ومربية ماهرة وغاسلة صحون ماهرة، وليس حبيبة او رفيقة او إنسانة بدم ولحم، ثم فجأة وتحت اسنة الحراب يطلب منها ان تكون محضية وعشيقة وغانية من

غير ان تتعلم هذه الوظائف في مدرسة او كنيسة او جامع.

هذه في الواقع محنة ثقافة كاملة وليست محنة أنثى فقط، فالذكر نفسه يجد معضلة في التكيف مع أنثى ظللت طوال حياتها تحت سيطرة مؤدب لا يجيد سوى الوعد والوعيد، والذكر نفسه نصف قدراته العقلية معطلة بسبب انشغاله بسحر الأنثى التي لا تغيب عن باله ليلا ولا نهارا وهو لا يعرف عنها شيئا حتى تبدو له وكأنها كائن خرافي معبأ بالالغاز والاحاجي والاسرار، وهو الى جانب ذلك محاط بذكور في المدرسة وذكور في البيت وذكور في الشارع والويل له ان فكر بانثى قبل ان يحصل على إجازة رسمية من مأذون شرعي، وهو لذلك معرض للانحراف بدرجة لا تقل باي حال عن درجة انحراف الأنثى التي تركت أحلامها مؤجلة حتى يطرق عليها الباب طارق من الاقرباء او الجيران او تبقى نائمة مع أحلامها في غرفة احتجازها المحاطة بالاسلاك الشائكة. او تتمرد فتخرج من جلدها وتتحول الى طريدة في غابة تحرسها الذئاب

أهمية المشكلة

الطفل الذي يولد بفتحة فقط من دون أنبوب للبول، يعرف منذ اليوم الاول انه محاط بعناية خاصة تكفلها أعراف مسلحة تسليحا جيدا، ثم لا يلبث ان يتكيف مع واقع الحال، ويدرك باكرا قبل ان تسقط اسنانه اللبنية انه يجب ان يجلس خلف أسوارعالية على كرسي مصنوع خصيصا للمعوقين، ويحتاج الى مساعد من جنسه وحارس مسلح لكي يستطيع القيام بوظيفة ما خارج الحصن، اما داخل الحصن فانه طليق ويستطيع ان يتعلم فنون الطبخ والعناية باخيه الأصغر المزود بانبوب للبول وان يتحمل تفوقه البيولوجي مدى الحياة من دون حق الاعتراض او الاحتجاج، فان حدث ذلك مرة ولو على سبيل المزاح فانه يعاقب بطريقة يدرك معها ان الاحتجاج على التفوق البيولوجي هو بمثابة انتحار اختياري.

فهل تستحق مشكلة الأنثى التي وضعت في قفص كونكريتي بدون اختيارها وبدون رغبتها وبسبب ولادتها الناقصة ان توجه أصابع الاتهام للثقافة التي كبلتها بالاصفاد من دون ان تعرف ان للانبوب ميزة إضافية، حتى لو كانت أذكى واحكم واعلم من أخيها الذي تجند له الاجناد وهو لا يستحق ان يقف معها على مدرج واحد. هي اذن مشكلة، أهميتها بحجم مصيبتها.

الهـــدف

المشكلات غالبا تحتاج الى اهداف، والاهداف يحتاجها الجنود اكثر من الباحثين، فاذا تقررتحديد الاهداف فان الباحثين من أشباه الجنود ينبغي ان يسلكوا طريقا لم يسلكها احد من قبل، والا فان الأهداف ذاتها قد تتحول الى وسائل لا تؤدي إلى أي مكان، وفي مشكلة مثل مشكلة الأنثى التي تولد في مجتمع ذكوري لا توجد اهداف معلنة لان الباحث نفسه سيكون احد اطراف اللعبة ، التي ستقوده حتما ليكون مع او ضد حسب انتمائه وحسب هويته الجنسية. وضع اهداف لمعضلة من هذا النوع سيدفع الباحث

للوقوف بوجه ثقافة تمتد من البحر الى البحر، مثل هذه المواجهة ستعجز أي باحث يسعى لمخاطبة العقل الجمعي عن طريق خدش قانون المحرمات. الباحث لا يملك أدوات تغيير مثل الحكومة الباحث جرس إنذار مبكر، ساعة تنبيه، وضوء احمر في عربة توشك ان ينضب وقودها.

القضية ربما لا تكون اكثر من مناقشة فكرة جليدية اريد لها ان تتحول الى صخرة صلبة قبل ان تتفاعل مع برودة الجو وحرارة الجو ورطوبة الجو وتفقد خواصها الاصلية، وقبل ان يأتي باحث اخر بعد مئتي عام ليحرر الصخرة من قوانين الحركة ويكتشف الكنز الذي كان تحتها، بالاهداف القديمة نفسها .

أسلحة الثقافة

تقول لوسى مير(١٩٨٠) L. Mair لكل مجتمع قواعد ثقافية تحكم العلاقة بين الجنسين، وفيما عدا المجتمعات التي يكون فيها الانحدار اموميا حيث تملك الأنثى مفاتيح اللعبة كاملة، فان المجتمعات البطريركية غالبا تعطي الذكور السيادة الكاملة، بيد ان هذه السيادة لم يبق منها في اغلب المجتمعات المتحضرة اي أثر عملي لأن المراة استطاعت ان تنتزع حريتها انتزاعا، حتى العلاقات الجنسية قبل الزواج لم تعد بحاجة الى تفويض اجتماعي، صارت مشروعة تحت زعم الحرية الشخصية. وفيما عدا مجتمعنا الذي لا يتورع عن تجريم الأنثى قبل ان تقوم باي فعل، لانها موضع شبهة حتى وهي صائمة، فان المجتمعات الأخرى تجاوزت عقدة أوديب، والسبب البيولوجي الوحيد للتفريق بين الأنثى والذكراساسه كما يقول جون بيتي J Beattie (1985) هو ان المرأة تحمل وتربي الأطفال وذلك ما يجعلها اكثر التصاقا بالبيت من الرجل، بيد ان التفريق بينهما يحدث لأسباب ثقافية اكثر منه بيولوجية ذلك ان توصيف الأنثى وتهيئتها لكي تكون أنثى يحدث قبل الحمل والولادة بزمن طويل، منذ الولادة ان شئت. وإذن فان الحجة البيولوجية تعتبر لاغية، ولم يبق غير التنميط الثقافي. النعيمي (٢٠١٦) . فاذا سلمنا بذلك، فان المرء ليحتار أحيانا في معرفة الأسلحة السرية التي تستخدمها الثقافة culture في تطويع الناس ليكونوا شكلا واحدا وسلوكا واحدا وعقلا واحدا في نظرتها للانثى. الحيرة ربما تتبدد مع ومضة من الفيلسوف العملاق جون ديوي (١٩٦٤) الذي يقول ان مكونات الثقافة مثل....

الكلام والأمانة، هي وظائف لا تتم دون وجود الفرد من ناحية والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، والبيئة (الثقافة) تقوم بهذه العمليات المختلفة عن طريق تركيبات عضوية او تنظيمات مكتسبة، فالهواء الذي يحرك صفحة البحيرة او يهدم المباني تحت ظروف معينة، هو نفسه الهواء الذي ينقي الدم وينقل الأفكار تحت ظروف أخرى، ذلك لان النتيجة تعتمد على ما يتفاعل معه الهواء. ٤٠-٣٩ .p

هكذا هي الثقافة مثل الهواء يدخل اليك ويخرج منك بفعل تلقائي، من دون مجهودات ومن دون ان تغرف منه بملعقة ومن دون ان تذهب للبائع وتدفع له ثمن جرعة من الهواء، هكذا تتسلل

اليك بدون تصنيع ولا تصنع، تكتسب منذ اول صرخة يطلقها الرضيع احتجاجا او ابتهاجا، منذ اول مسكة لثدي الام ومنذ ان يعزل الذكر في اثواب زرقاء والانثى في اثواب وردية، ومن طريقة احتضان الام لوليدها بعد وضعه مباشرة، ومن تقاطيع وجه الاب التي تقرأ فيها ابتهاجه او سخطه وهو يحدق بالوليد. منذ ذلك الحين يمنح الوليد هوية محارب او هوية حسناء، منذ ذلك الحين يمكن تلمس السيف في يد المحارب والجرة على رأس الحسناء منذ ذلك الحين كما يقول أنتوني جدنز A Giddens (1989) تتشكل لدينا صورة الهوية الجنسية.

الثقافة هي كأس الفخار الذي منحه الاله لكل شعب ليشرب منه، وهي مثل قطعة الحلوى التي يضعها الكاهن على لسان المؤمنين في الكنائس، ومثل بركة التعميد التي يركس فيها الوليد، وتركس فيها العروس في الديانات القديمة، انها وحدها تضع القلادة في عنق الحسناء والفأس في يد الحطاب، وهي التي تجعل الذكر متفوق بالولادة بسبب امتلاكه وظيفة عضوية مختلفة نسبيا ولكنها مركبة ثقافيا كما يقول كونراد (١٩٦٧)، رغم ان كلا الجنسين يولدان بشفرة وراثية متماثلة:

فالانسان يحمل ثلاث وعشرون زوجا من الكروموسومات، كل زوج ينطوي على كروموسوم من الحيمن ومثله من البويضة متشابهة كليا لكل الثلاث والعشرون زوجا، عدا زوج واحد متشابه لدى الإناث (xx) ومختلف لدى الذكور (xy) Giddens (1989: 158)

فيما عدا زوج واحد، كل ما تبقى من الكروموسومات متشابهة، والزوج المختلف هو الذي يعطي للجنين هويته الجنسية، ثم تأتي الثقافة وتمارس العزل القصدي بين الإناث والذكور وتمنح الكائن الذي لديه (xy) امتيازات استثنائية قد لا يستحقها بمقاييس أخرى كالفطنة والذكاء وربما القوة البدنية أيضا. صحيح ان الشعوب تختلف في درجة تمييزها بين الذكور والاناث، كما أشارت روث بندكت R Benedict (1959) وبعضها القليل يضع السيف في يد الأنثى والقلادة في عنق الذكر، ولكن المجتمعات البشرية في الغالب أبوية ذكورية، لم تكتف بوضع القلادة على جيد الأنثى وانما حولتها الى طوق ابدي يشدها الى السرير، غالبا دون ارادتها او رغبتها، فتتحول بذلك الى صورة معلقة على حائط لا تملك حتى تحويل مكان اقامتها المحاصر بسلسلة تقاليد طولها سبعين ذراعا.

صورة الأنثى في مجتمعنا اكثر قتامة، منذ ان جاء القرويون الى السلطة، ومنذ ان تولى الكهنة ادارة شؤون الناس، ومنذ ان تشيِّع او تسنن الحمقى وتجار الوهم وزوار اخر الليل، وخطباء المنابر والمعتوهين الذين حولوا الشعائر الدينية النظيفة الى أحزمة ناسفة، وكواتم صوت ورسائل تهديد محشوة بالرصاص. من تحت انقاض هذا الخواء الروحي ارتفعت جدران السجون التي اودعوا فيها امهاتنا وإخواتنا وبناتنا لكي يتم اختيار احداهن قربانا للنيل وأخرى للفرات.

المنهـــج

المقابلة بكل أشكالها (structured, semi–structured & unstructured) والملاحظة بالمشاركة تعتبر اهم أدوات البحث الانثروبولوجي والسوسيولوجي أيضا (Hogg & Vaughan 2005) (May (2001 وقد استخدمنا في هذه الورقة المقابلة شبه المقننة semi–structured على عينة من ٥٠ مبحوثا من كلا الجنسين في مجتمع محلي بمدينة الصويرة، طرحنا فيها السؤال التالي " لماذا تكون الأنثى مدللة بعض الشيء وهي طفلة ثم تحتجز في زنزانة قبل ان تبلغ سن العاشرة"؟

النتائـــج

الواقع ان طرح هذا السؤال على افراد العينة استلزم تصنيف المشاركين في مناقشة مفتوحة الى ذكور وإناثا بشكل منفرد لضمان تجنب التصادم بين الذكور والاناث وإعطاء حرية كاملة للمتحاورين، كما استلزم تصنيف المشاركين حسب الإعمار والمستوى التعليمي والدخل، لتجنب التعارض بين الأجيال وبين المتعلمين ومن ثم بين الأغنياء والفقراء، تصنيف مجحف بعض الشيء بسبب إعطاء فرص متساوية للضحية التي لا تملك من يجفف دموعها والجلاد الذي يغرز اظافره في اللحم، للعجائز اللاتي سقطت اسنانهن مبكرا والصبايا اللاتي يرون العالم من ثقب الباب، للمتعلمين الذين لا يجيدون القراءة والكتابة وغير المتعلمين الذين يجيدون الحكمة بالبداهة وللاثرياء اللصوص والفقراء المتعففين، ولكنه تصنيف لا بد منه النتائج لم تكن مبهرة، ولم تكن غير مألوفة، ذلك لان الناس في بلادنا العربية طولا وعرضا تعودوا تزييف استجابتهم على وفق نظرية فيستنجر (Festinger 1957) في التناشز الادراكي. فاغلب الذكور من الشيوخ الذين تجاوزوا الأربعين يقولون ان الأنثى تبقى مدللة صغيرة وكبيرة، وهم على حد تعبير احدهم "القوارير التي نحافظ عليها حتى لا يخدشها خادش"، وهن ملائكة البيت اللاتي يضفين البهجة، ووضعهن خلف الأسوار العالية من شانه ان يحفظ كرامتهن، بدل ان يتركن سائبات يتسكعن على الأرصفة، أنهن شرف العائلة كلها وسمعتها بين الناس. كلام جميل ومؤثر وليس من حق الباحث ان يزعم انهم يكذبون، او يتكلمون على خلاف ما يفعلون. اكثر من ثلاثة أرباع الإناث من نفس الفئة العمرية قالوا الأنثى مكانها البيت، وليس الشارع، انه –على راي احداهن– الستر والحياء والطهارة زينة الانثى، اما اذا تركت على هواها فذلك من هوانها على أهلها، فالأنثى بزعم الجيل القديم من الإناث أمانة تنتقل من بيت أبيها لبيت بعلها(*)، هذا هو قدرها المقدور ان تبقى خلف الحيطان حتى تاتيها قسمتها (أي حتى يأتيها عريس بمواصفات

* الزوج الذكر يسمى بعل ، والبعل هو رب الشيء ومالكه، ولما كانت العرب ترى من استعلاء الرجل على المرأة، فإنها أعطته السلطة ليكون سائسها والقائم عليها، (والتعريف لا يحتاج الى تعليق) معجم المعاني الجامع وكذلك ينظر: www.ahlalhadeeth.com

ترتضيها الام ويرتضيها الاب والا تبقى في زنزانتها حتى قيام الساعة).

المتعلمون من هذه الفئة يميلون للاعتقاد ان الرجال قوامون على النساء، وان المرأة شرعا يجب ان تلازم بيتها مالم تمارس عملا مشروعا خارج البيت، وحتى العمل خارج البيت لا يجوز مالم تكن بحاجة اما

لأنها فقدت زوجها في الحروب العبثية او ذهب ضحية وشاية او هاجر ولم يعد او ان زوجها او أبيها غير قادران على الانفاق. المتعلمون تفوقوا على نظرائهم في الاعتقاد بان حبس الأنثى خلف الحيطان عمل يتساوق كليا مع الدين، حيث ظن اكثر من ثلاثة أرباع العينة من كلا الجنسين ان الدين امر بوضع الانثى في علبة تخزين مدى الحياة، فيما اشار اقل من ربع العينة من غير المتعلمين ان الأنثى ضحية التقاليد وليس الدين، التقاليد هي التي هيأت العربات المصفحة لنقل الإناث الى علب التخزين. والحراسة المشددة عمل من اعمال مجتمع المدينة الذكوري، المصاب بعقدة الشك، التي تقتضي احتجاز الأنثى على سبيل الاحتياط، لأنها الهدف الوحيد الذي يصيب الكبرياء والشرف بصعقة كهربائية مميتة. كبرياء افراد لديهم عجز جنسي مزمن، واختلال مزمن في وظائف المخ، وتعفن مزمن في مجرى الدم. اما الفقراء فكانوا اقرب لغير المتعلمين في استجاباتهم اذ يعتقد اغلبهم ان الأنثى تتحول الى سلعة تباع وتشترى لمن يدفع اكثر في مزاد علني مفتوح طول الوقت، لا يهم ان كان المشتري عاشق ام نخاس، تاجر ام بائع هوى، زوج يريد تكوين أسرة ام طالب شهوة يبحث عن تسلية، ومع ذلك قال احدهم " نحن الفقراء اكثر مكونات الشعب التي تبيع الإناث، ليس لأننا نبحث عن الربح في تجارة رائجة ولكن لأننا وجدنا مورد مجاني يمكنه سد حاجاتنا، وكسر شوكة الفقر المادي والروحي الذي يغلب علينا". وعلى الطرف الاخر كان الأغنياء من هذه الفئة العمرية (+٤٠) يتعاملون مع الأنثى بمرونة اكبر، وليس من عادتهم وضع قيود كثيرة على الأنثى لانهم يعتقدون ان احدا من الطبقات الأدنى لا يملك الدافعية ولا الجرأة للاقتراب من اناث الأغنياء، ولان هناك بحسب تعبير احدهم " حاجز نفسي يفصل اناث الأغنياء عن ابناء الطبقات الأدنى" ، وقد ايد اغلب افراد العينة من الأغنياء ان الإناث من ذوات الحسب والثراء يستطعن الخروج والدخول بحرية اكبر وبدون حراس مدججين، كما يمكنهن السفر للدراسة او الاستجمام بدون بصمة تخويل طويلة الأمد من مأذون شرعي او كاهن او امام. يقول احدهم "الواقع ان الأغنياء هم الذين يعطون للاعراف والتقاليد رخصة البقاء والاستمراراذا كانت لا تتعارض مع مصالحهم، ولذلك فان الأعراف والتقاليد تصنع من اجل ان يتمسك بها الفقراء من دون ان يكون لها نفس السلطة على الأغنياء"، الملاحظات التي سجلت مباشرة بعد انتهاء المقابلات أظهرت ان الشباب من الجنسين لهم نظرة مغايرة لصورة الأنثى، فالفصل القصدي بين الجنسين في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي، جعل الأنثى في خيال الذكر أشبه

بايقونة قدسية لكائن يبعث على الاشتهاء ا كثر منه انسان بدم ولحم، ثم لا تلبث هذه الصورة ان تتبدل بعد الزواج حيث يكتشف الذكر انها مجرد جثة باردة تنام وتآكل وتبكي وتضحك مثلها مثل الاخرين، وربما يصاب بعضهم بخيبة امل، وقد تؤدي خيبة الامل هذه الى طلاق سريع. احد الشباب الذكور قال " بصراحة كانت الأنثى اكبر أحلامي واشدها إلحاحا في النوم واليقظة، أحببت اول انثى صادفتها في حياتي وظننت اني لم ولن احب احدا بعدها، ثم سرعان ما أحببت أخرى بنفس القوة ثم تزوجت من غير اللاتي أحببت، واكتشفت بعد حين ان صورة الأنثى في خيالي اجمل بكثير من معاشرة الأنثى، لأنها تتحول بالتدريج الى لعنة تطاردني أينما ذهبت" لكن طبعا ليس كل الذكور لديهم نفس المشاعر لانهم لا يملكون نفس الخبرات ولا نفس الظروف المادية والنفسية كما يختلفون باختلاف التعليم والالتزام الديني والأخلاقي، فالذكر من فئة الأغنياء الذي يتربى في مدرسة مختلطة من رياض الأطفال حتى الجامعة قد لا يجد في الأنثى ذلك العالم الغامض المحاط بالالغاز والاسرار الذي يجده الذكر الذي لم يتحدث لأنثى طوال حياته الا حين يصل الجامعة، والمتدين فوق العادة يرى في المرأة عورة، كل ما فيها عورة حتى اظافرها المتقرنة، وشعرها المجعد تستثير الشهوة وينبغي من وجهة نظره ان تبقى خلف الأسوار في زنزانة دخل زنزانة داخل قبو حتى تنتفخ اجفانها، ثم انها كما قال احدهم "خلقت من ضلع ادم وهي لهذا ادنى منه منزلة وانها ينبغي ان تبقى في حدود وظائفها التي خلقت من أجلها وهي عبادة ربها والقيام بخدمة الذكور، (اب واخ وزوج) وليس لها وظيفة أخرى" اما الشباب الذكور المتعلمين فقد اكدوا انهم لا يجدون في عزل الأنثى في أقبية خلف الجدران العالية الا انتقاص من إنسانية الانسان ومشروع لوأد الأنثى قبل ان تطلق صرختها الأولى، وعودة الى الجاهلية. اما الشباب من الإناث المتعلمات فانهن يعتقدن ان المساواة مع الذكور ضرب من الخيال فالتقاليد والأعراف الاجتماعية وضعت حواجز كونكريتة بينهما، ولكن الآباء والأخوة المتعلمين ربما كانوا اكثر تسامحا مع الأنثى واقل وطأة عليهن، رغم انهم لا يستطيعون الخروج ابعد مما هو مسموح به عن التقاليد التي تشد الانثى شدا من شعرها الى القبو ثم الى السرير. ومع الرغبة الجامحة للانثى الشابة في الحصول على نصف امتيازات الذكر، ما زالت اغلب الإناث المتعلمات وغير المتعلمات لا يجرأن حتى على التعبير عن رغبتهن في التحرر من سلطان التقاليد، والقليل جدا منهن من ينتقد سلطة الذكور الغاشمة على استحياء.

خلاصة وتفسير

النتائج تبدومالوفة الى حد الإدانة، لاننا في الواقع لا نعلن عن اتجاهاتنا ولا رغباتنا مباشرة اننا من دون باقي الشعوب على هذا الكوكب البائس نظهر غير ما نبطن، نقول غير ما نفعل ونفكر بعد ان نفشل. المرأة التي كنا نسعى لكي نرسم لها صورة مثالية من وجهة نظر محايدة في هذه

الورقة البحثية، هي ذاتها تعمل حارس امين على سلطة التقاليد البربرية، انها تبدو وكأنها دخلت دورة تأهيل في كيفية صيانة التقاليد والمحافظة عليها، دورة تأهيل للابقاء على الأنثى مدجنة مدى الحياة وسجينة مدى الحياة ومعاقة مدى الحياة. هذه القوة السحرية التي تملكها التقاليد لكي تجعل الأنثى مصدرامان بدل ان تكون بؤرة توتر هي التي اخترعتها السلطة الأبوية الغاشمة لتبقى رمزا طاغوتيا لعلاقة مختلة بين الأنثى والذكر وبمباركة الأنثى ذاتها . عندما يقول كبار السن الذكور ان الأنثى تبقى مدللة صغيرة وكبيرة فانهم يزيفون استجابتهم، فالناس في هذا المجتمع يحرصون كل الحرص على إبقاء صورة البطل الشعبي على الواجهة، هذا البطل الشعبي نتقمصه امام المرآة فقط. ولكي لا تهتز صورة هذا البطل فإننا على استعداد لان نبدو متحضرين على طريقة "الخواجة ارمسترونغ" مع الإبقاء على "عقال الحاج عليوي في مخبأه السري" حيث يخرج للعلن حالما يعود لممارسة سلطته الأبوية داخل البيت، او حالما يستفز بما لا يتفق مع الأعراف والتقاليد السائدة.

المتعلمون اكثر الناس تناشزا، واكثرالذين يكيلون بمكيالين، انهم يتصرفون مع الأنثى بمقدارما يتعلق الامر بالمكان والزمان وبالموقف، فاذا رأيت شابا متعلما يتحدث عن الحب، وقدسية هذه العاطفة النبيلة فلا بد ان يفهم انه عاشق، وانه ينتظر ان تبادله الفتاة عشقا بعشق، والويل لاخته او ابنته ان ارتبطت عاطفيا باخر من دون ترخيص اجتماعي، هذه الثنائية التى تحدث عنها الوردي قبل اكثرمن نصف قرن مازالت تعمل بنفس القوة، رغم تبدل حياة المجتمع البشري، وتراجع الخصوصيات الثقافية.

صورة الأنثى لم تتبدل كثيرا بالتعليم والغنى والتواصل الاجتماعي الذي فتح الأبواب على عالم اكثر اتساعا واكثر حرية، صورة الأنثى ظلت أيقونة قدسية معلقة على الحائط من غير ان يكون لها حق النزول الى الأرض لكي تمشي مع الاخرين باقدام وارض تمشي عليها هذه الاقدام وتزاول حياتها العادية بغير عزل إجباري. الأغنياء وحدهم يملكون مفاتيح إخراج الأنثى من مخدعها الى الشارع لتشارك في مهرجان الربيع وتمارس رياضتها الصباحية وتغمر جسمها في حوض السباحة. الأغنياء يستطيعون إعطاء الأنثى امتيازات تفوق امتيازات الذكر ولكنهم لا يفعلون، لان ذلك سيخسرهم شهوة التملك ، ولكن أشباه الأغنياء واشباه الفقراء لا يستطيعون لانهم صاروا أغنياء او فقراء بالصدفة، والصدفة تقود الى العقم على عكس الأغنياء او الفقراء بالولادة.

عزل المرأة وأبعادها عن الحياة العامة، لم يكن الا استجابة لنداء الكهنة واشباه الكهنة الذين قرأوا كتابا او كتابين وصاروا يفتون في الحلال والحرام، هو استجابة لاشباه الفقهاء الذين يعتبرون المرأة ،كل المرأة عورة، حتى دموعها عورة. هذا الحصار المتعمد يهدم المجتمع بتعطيل نصفه عن المشاركة في العمل والبناء تحت مسميات كهنوتية لا علاقة لها بالدين ولا باهل الدين .والخلاصة ان احدا ولو كان باحثا

محايدا لا يستطيع ان يقف على التل يحسب خسائر معركة تحرير نصف المجتمع وهي تسير بالاتجاه الخطأ لانه عندئذ سيكون ضمن فريق العائدين المنكسرين من حفلة جمع العنب البري بعد معركة بالسلاح الأبيض مع جيش من النحل.

References:

- Beattie, J (1985) Other Cultures: Aims, Methods and Achievement in Social Anthropology, London, Routledge & Kegan Paul
- Mair, L (1980) An Introduction to Social Anthropology, Oxford, Clarendon Press
- Giddens A, (1989) Sociology, London, Polity Press
- Benedict, R (1959) Patterns of Culture, N Y, New American Library Publisher
- Hogg M, and Vaughan G M, (2005) Social Psychology,4th ED, Essex, England, Pearson Education Ltd.
- Festinger, L (1957) A Theory of Cognitive Dissonance, Stanford, CA: Stanford University Press
- May, T, (2001) Social Research: Issues, Methods and Process, 3rd ED, Buckingham, Open University Press
- Conrad J, (1967) The Many Worlds of Man: Racial and Cultural Differences- What They Really Mean and Why They Are So Valuable, London, Macmillan
- جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، (١٩٦٣) ترجمة : النجيحي ، د. محمد لبيب، القاهرة، مؤسسة الخانجي للطباعة.
- النعيمي، د. فجر جودة، (٢٠١٦) علم النفس الاجتماعي : دراسة لخفايا الانسان وقوى المجتمع، بغداد– بيروت، دار اوما للطباعة

Appendix

جدول رقم (١) توزيع العينة وفقا للعمر والجنس (جندر)

Age/ Gender	Male	Female	Total
40+	16	13	29
40-	12	9	21
total	28	22	50

جدول رقم (٢) توزيع العينة وفقا للعمل والتعليم*

Age/education	High Edu	Low Edu	total
40+	14	10	24
40-	22	4	26
total	36	14	50

- High Education= University and over
- Low Education= Secondary and less

جدول رقم (٣) توزيع العينة حسب العم والجنس والتعليم*

Age/Edu & Male/female	**High Edu**		**Low Edu**		**Total**
	M	**F**	**M**	**F**	
40+	9	5	6	4	24
40-	13	9	-	4	26
Total	22	14	6	8	50

جدول رقم (٤) توزيع العينة وفقا للدخل الشهري*

Age/Income	**Rich**	**Poor**	**total**
40+	16	28	44
40-	2	4	6
total	18	32	50

High Income (2.000.000 Iraqi Dinar and over)
Low Income (1.000.000 Iraqi Dinar and less)

جدول رقم(٥)توزيع العينة وفقا للدخل والجنس

	Rich		Poor		Total
	M	F	M	F	
40+	10	5	15	14	44
40-	1	1	3	1	6
total	11	6	18	15	50